العدد السابع
تموز (يوليه)
السنة الثامنة

No. 7 Juillet 1960
8ème année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

القومية العربية والمتشككون

بقلم نازك الملائكة

رجاء ـ السؤال الذي احب ان اثيره، بعد قراءتي لمقال نازك الملائكة، هو الى اي مدى يصح للاديب ان يدخل ميدان الفكر السياسي مزودا بسلاح ادبه وحسب ؟

نازك ـ ان الاسلوب الذي تتبعه ، يا استاذ رجاء ، في مناقشتك هو ما اسميه بالارهاب الفكري . فانت تتبرى لمناقشة مقالي حول المبررات التي تجعل القومية العربية ضرورية للحياة في نظري . وبدلا من ان تكون موضوعيا وتدرس النقط الثلاث التي اوردتها في بحثي وتدحضها ، استعملت اسلوبا هجوميا فيه طغيان فكري واستبداد . انظر كيف تبدأ رأسا بالسؤال : « الى اي مدى يصح للاديب ان يدخل ميدان الفكر السياسي مزودا بسلاح ادبه وحسب ؟ » ومظهر الارهاب في هذا السؤال انه يستغفل القارىء ويدلس عليه ، فيوحي اليه ان مسألة جهلي ـ انا كاتبة البحث ـ بالفكر السياسي هي من الوضوح والبداهة بحيث ان المسألة اصبحت فورا قابلة لان تخضع لسؤال عام حول الادباء الذين يتطفلون على ميدان الفكر السياسي دون علم . والواقع ان هذا مثل صارخ لما يسميه « المناطقة » مغالطة او سفسطة ـ لاادري ايهما ـ فهو من صنف قولهم « فلان يمشي في الليل ، وكل من يمشي في الليل سارق، ففلان سارق.» ان في هذا الحكم حلقة مفشوشة . ذلك انه ليس كل من يمشي في الليل سارقا كما انه ليس من المسلم به انني جاهلة بابحاث الفكر السياسي. ومن ثم فان النتيجة المستخلصة من الحكم المغشوش لابد ان تكون غير صحيحة ، ولا اظن القارىء الموضوعي مستعدا لموافقة رجاء النقاش بهذه السهولة على انني جاهلة في ذلك الحقل ، انه ـ على الاقل ـ سوف يحتاج الى ان يتحقق من جهلي بقراءة شيء اكثر من مجرد مقال قصير تفجرت فيه بالحب للقومية العربية ولم اورد فيه اي حكم في الاقتصاد او السياسة . واذا كان على الناقد ان يثبت علمي بالفكر السياسي قبل ان يشهد لي به ، فان عليه ـ بنفس النسبة ـ ان يثبت جهلي به قبل ان يلومني عليه بهذه الصيغة المتعالية .

تلك يا اخي الاستاذ رجاء ، وسيلة ارهابية غير مشروعة في المناقشات المتزنة ، واذا رمينا اي انسان يخالف اراءنا بانه جاهل لنسكته ، فكيف نسمي انفسنا احرار الفكر ؟

رجاء ـ ما الذي يشعر به الانسان بعد قراءة مقال نازك ؟ لقد شعرت كأنني اقرأ قصيدة جميلة غاب عنها الوزن وغابت القافية . كلام جميل عذب ، لكل كلمة فيه حلاوة كلمات نازك في شعرها .

نازك ـ كلماتك اجمل واعذب يا اخي ، اسمح لي ان افيق من نشوة الثناء قبل ان يسبب لي دوارا .

رجاء ـ هل وراء ذلك موضوعية تسند المقال وتدعم مافيه ؟ لا .

نازك ـ مهلا ، هنا ينبغي ان نقف . الموضوعية ـ اذا تاملتها ـ ليست الا دعاء لفويا فارغا يمكن ان يستوعب محتويات متضاربة ، وانا شخصيا امقت الكلمات العامة واحذر استعمالها في سياق الابحاث ، ذلك انها غير محددة المعاني ومن ثم فان استعمالها يحدث كثيرا من الغموض والبلبلة . فما هذه « الموضوعية » اولا ؟ ما ملامحها ؟ ألها قيمة مطلقة ام ان معناها يخضع للظروف والاحوال ؟ وهل تكون موضوعية الاديب الذي يكتب بحثا في الشعر مشابهة لموضوعية العاشق الذي يكتب قصيدة لحبيبته مثلا ؟ قطعا ، لا . ان الاول ملزم بان يعصي اهواءه ، اما الثاني فهو ملزم بان يطيعها . تلك هي الموضوعية الحقة ، تنبع من اعماق النفس الانسانية ولا تهبط من مصادر مثالية عالية مفروضة على الذهن فرضا . وانا اؤمن بان القومية العربية هي ، بدء عاطفة حب تختلج في كيان كل عربي ومن دون هذه العاطفة لايمكن ان تقوم الدعوة السياسية التي ينادي بها المجتمع العربي اليوم ، واذن فانا حين اتناولها باعتبارها العاطفي هذا لا اخرج عن الموضوعية قط وانما انا في صميمها. ان الموضوعية الوحيدة

كتب الاستاذ رجاء النقاش في عدد الاداب الماضي تعليقا على بحثي «القومية العربية والحياة » وقد اعطاني تعليقه فرصة لاثارة بعض اللفتات والملامح . وانا اضع ردي عليه في اسلوب ذي صفة حوارية ليستطيع القارىء متابعة المناقشة ولكي امنح مقالي صفة عفوية تخلو من رسمية الردود الادبية .

« نازك »

الممكنة في مقال يتناول القومية العربية هي موضوعية عاطفية ، وذلك اقصى مايمكن ان يقال ، ذلك ان سياق القومية العربية هو سياق حب لا سياق فكر . واما الفكر فيأتي فيما بعد لينظم هذه العاطفة في قالب سياسي ، وتلك العاطفية هي سر قوة القومية العربية ، وهي التي تعطينا الامل بان تندفع ملايينا العربية ركضا نحو الحياة العاملة البانية المتعطشة للنور والحركة . هذه العاطفة ، يا اخي ، هي كنزنا في الوطن العربي فلا تسألنا ، بالله عليك ، ان نجمدها بثوب الشك وبرودة البراهين . ان الدعوات التي تبني الامم هي دائما دعوات عاطفية . وما دام هذا العربي يحب عروبته فنحن بخير ، ووصولنا مضمون . وحذار حذار من ان نستبدل الموضوعية اللفظية بعاطفتنا ، أتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ؟ صدق الله العظيم .

رجاء ـ أقرأ لنازك مقالات في النقد الادبي تفيض بالوضوح والموضوعية ولكن هاهي في البحث السياسي تكتفي بموهبتها الشعرية .

نازك ـ اني اكتفي بموهبتي الشعرية ـ على حد تعبيرك ـ في كل ماكتبه من نثر وشعر ولا اذكر انني شغلت بالي يوما بالموضوعية . الموضوعية يا اخي تتبعني ، وانا ارفع عن ان اجعلها قانونا يستعبدني .

ولكن قل لي يارجاء ، لم انت خائف كل الخوف من « الجمال والعذوبة» في بحثي ؟ اذا كان من الحق ان الفجاجة اللغوية وشناعة الاسلوب يلازمان كثيرا من الابحاث العلمية فهل من الحق ان كل ماهو جميل لا بد ان يخلو بالضرورة من صفة الموضوعية والعلمية ؟. والظاهر ان جمال تعابيري قد كان ذنبا ادبيا عظيما ، ولعلي لو كبحت جماح حماستي للعروبة وحبي لها لنجحت في تحاشي الصور الشعرية التي افقدتني ثقتك الى هذا الحد . والواقع ان من عادتي ان « اتكلم شعرا » كلما انفعلت ، ولا خلاص لي من ذلك . ومع ذلك ، فانا اثق ان الموضوعية والعلمية والوضوح لاتتناقض قط مع السكر والعبير . وهل كتب علينا ان نكون خشنين وشنيعين لمجرد ان نحافظ على الموضوعية ؟ واذا كانت الموضوعية تناقض الجمال فما الدليل على انها فضيلة ؟ ولماذا يجب ان احبها ؟

رجاء ـ مثل هذا الكلام الذي يملأ المقال من اوله لاخره لايمكن ان اقول عنه الا انه نوع من « القومية الخيالية » او « الرومانتيكية » .

نازك ـ من يقرأ عبارتك هذه وما بعدها يظن حتما ان بحثي قد تناول الدولة العربية الموحدة ووضع لها نظاما اقتصاديا واجتماعيا وان نظامي المقترح كان خياليا ورومانتيكيا فكان لابد لك من ان تقول ذلك . والواقع ان بحثي لم يدر الا حول العاطفة القومية ومبرراتها التي تجعلها ضرورية ، ولذلك عنونته « القومية العربية والحياة » وقد كنت صارمة في تمسكي بهذه الدائرة فلم اتحدث عن اي نظام ولم اشر حتى الى امكانية قيام دولة عربية تستند الى هذه القومية . ولذلك تبدو الفاظك التي تستعملها افخم مما يستحق بحثي واكبر . وهذا غريب وهو يلفت النظر .

رجاء ـ ان القومية العربية لانكون بديهية الا عند مواطن زالت من نفسه ومن عقله جميع الظروف التي تلقي على عقيدته ظلا من الشك .

نازك ـ اسمح لي ان اسجل احتجاجي على اعتبارك القومية العربية « عقيدة » . ان ذلك يقلل من قيمتها وينزل بها الى مستوى الاشياء العارضة المتبدلة . ذلك ان من السهل ان تستبدل العقائد بين يوم وليلة . العقائد تخضع للثقافات ، والاهواء ، والنمو الفكري للانسان . انها مكتسبة لا اصيلة ، وهي تروح وتجيء وليست ثابتة . واما العروبة فهي فضيلة جبرية لايستطيع الانسان ان ينزعها ولا ان يقاومها . انها نحن ، ولن نفقدها الا اذا فقدنا دمنا ووجودنا نفسه .

واسمح لي ايضا ان اقول ان العربي لايمكن ان يتشكك في عروبته الا اذا تعمد موجه مغرض ان ينحرف به ويشككه وهذا لايتم الا بتشويه كل ماهو اصيل وعفوي في طبيعة العربي . لقد قلت في بحثي اننا اذا جردنا العربي من قيوده وتصنعاته فانه سيجد نفسه قوميا بالفطرة ، اذا كان هناك عربي اصيل يتشكك في قيمة عروبته فان شكوكه هذه بضاعة فاسدة مدخولة . وهذا الانسان هو عدو نفسه . اننا لانحتاج الى ان نحاول اقناعه فلسوف تلقي عليه طبيعة الاشياء درسا موجعا عاجلا ام اجلا. ذلك ان من يضع يده في النار يحترق ، والعروبة حقيقة ، وكل حقيقة تتحكم ولا يحكمها شيء على الاطلاق .

رجاء ـ لو كانت القومية العربية الى هذا الحد بديهية لما اصبحت بالنسبة لنا ـ نحن العرب ـ اعصب معركة نخوضها .

نازك ـ يبدو اعتراضك وجيها اول وهلة . فاذا كانت القومية العربية بديهية فلماذا اذن نجند القوى ونحرق اعصابنا ونسلم لياليا للارق من اجل ان ندفع تيارها ليرش الندى والنور على جفون الارض العربية العطشى ؟ بلى يا اخي ، سؤالك وجيه . ولكن قل لي ، بنفس القوة التي تعترض بها ، قل لي ماهدفنا من هذه المعركة التي نخوضها ؟ ترانا نريد بها ان نقنع العربي بان عروبته بديهية ؟ ام اننا نريد ان نقنع الاستعمار بان عروبتنا بديهية ؟ لا بل اليست البداهة الرائعة التي تتصف بها عروبتنا هي التي تجعل معركة الاستعمار ضدها بهذه الوحشية وهذه الوحشية وهذه الضراوة ؟ اليست حقيقة القومية العربية واصالتها وتمكنها هي التي تؤرق الاستعمار وتجعل معركته عنيفة ؟ هنا في اعماق قلوب التسعين مليونا تكمن عروبة اصيلة بديهية ، وهناك يتربص استعمار جشع لا ضمير له ، يقف متلمظا لينزع حقوق هذه الملايين من الجياع والحفاة والعراة . من اجل ذلك تقوم المعركة ، لا من اجل اثبات بداهة العروبة . فلنحذر الف مرة ان نقيس اصالة قوميتنا بمقدار ماتلقاه من مقاومة الاستعمار واعوانه . ان ذلك مقياس اعوج خطر يقع الغبن فيه على اكتافنا نحن . وهو لا يزيد عن ان يكون مزلقا خبيثا تنصبه لنا الذئاب المتربصة وراء الحدود . ولسوف يمضون في زرع الشوك والمسامير في طريق عروبتنا الصاعد الى المستقبل ، وكلما جرحت اقدامنا اتخذوا دمنا الذي يقطر دليلا على ان العروبة غير بديهية وغير اصيلة . وكان في وسعنا ان نجرح فلا تسيل دماؤنا .

رجاء ـ المسالة تحتاج الى جهد كبير لتوضيح الفكرة العربية لدى من يتشككون فيها .

نازك ـ ان العروبة ليست فكرة وانما هي كيان . ونحن لانقبل لها تعريفا اقل من انها الجوهر الانساني الفعلي لتسعين مليونا من البشر يمتدون في الزمان والمكان امتدادا كاملا . وهذه العروبة ملكنا ونحن نلمسها ونحسها ونعيشها كل لحظة فلن نضيع وقتنا في التماس البراهين على وجودها . ان التماس الادلة على الاشياء البديهية هو عمل العاطلين والكسالى . ونحن اليوم مشغولون ببناء مجتمع حي جديد مادته هذه الملايين العربية « الخام » التي تنبعث عطشى للحياة والعمل . وما نؤمن به نحن العرب هو الواقع الوحيد الذي سيتحكم في مستقبلنا . اما صياح هذه الفلول الضئيلة من المتشككين فسوف يضيع في زحمة السواعد العربية التي تعمل . ان الانسان المتشكك يتخلف بالضرورة عن ركب الحياة . واما المؤمن الذي يتوكل على الله ويمضي يعمل بقلب مطمئن في اتجاه ايمانه فذلك هو الذي يكون اول من يصل .

وبعد فهل انت واثق ، ياأستاذ رجاء ، من ان هذه الشكوك التي تبذر في طريقنا لاتهدف عمدا الى الهائنا بالكلام وتأخيرنا عن العمل المجدي ؟ انهم يجروننا الى المجادلات اللفظية ، وتلك مصيدة خبيثة تنصب لنا ، وعلينا ان ننتبه اليها ونتعالى عن الوقوع فيها . ان امامنا عملا وبناء فهل نضيع وقتنا في الوساوس والمعارك الفارغة ؟ ان الفرد العربي اليوم لا يحتاج الى السفسطة ، وانما يتحرق الى ان نوجهه وجهة عملية يندفع في اتجاهها . ان الطاقة البناءة فيه تنتظر ان نصيح بها « انطلقي » فهل من المناسب ان ننشغل ـ نحن الادباء ـ على صفحات المجلات بمناقشة السؤال الموسوس : « هل نحن عرب ؟ هل ذلك بديهي ؟ » واذا نحن هبطنا الى مستوى الاعتراف بهذه الوساوس المريضة المدسوسة ، افلن نكون قد ساهمنا في زعزعة ايمان الشعب العربي بذاته ؟ وبالضيعة الانسان الذي يملك حقلا من الفاكهة فيتركه مهجورا ويجلس يتأمل مفلسفا : « هل هذا الحقل موجود ؟ » .

رجاء ـ ...العقبات التي تقف في طريق نمو الشعور القومي والوسائل التي تساعد على تحويله الى واقع سياسي وواقع اجتماعي ، والموقف الاقتصادي الملائم لهذا الاتجاه ، والموقف السياسي الخارجي . كل هذه الافكار هي ماينبغي على المفكر ان يدرسه .

نازك ـ كان عنوان بحثي « القومية العربية والحياة » ويظهر ان الناقد قد نسي ذلك . فانا ابحث في العروبة باعتبارها العاطفي الانساني لا باعتبارها الاقتصادي والسياسي . ولا ريب في ان الحديث عن « العقبات » و « الوسائل » يخرج تمام الخروج عن حدود بحثي .

ويا اخي الاستاذ رجاء ، لماذا تخلط كل الخلط بين القومية العربية والدولة العربية ؟ اننا عرب سواء اقامت في الدنيا دولة عربية موحدة ام لم تقم . وذلك لان العروبة مستقلة تمام الاستقلال عن شكل الدولة او الدول التي تقوم في داخل نطاقها . ان العروبة هي المادة الخام التي تملأ الوطن العربي ، واما الدولة التي تقوم على اساس هذه العروبة فهي القالب الذي سوف تنصب فيه تلك المادة . العروبة عاطفة ، اما الدولة فهي منهج . وانا ـ بصفتي الادبية ـ لاأتناول المنهج ، وانما تعنيني العاطفة . ان ميداني هو الجانب الانساني من القومية العربية . واما تخطيط المناهج الاقتصادية والسياسية فهو في عقيدتي واجب المختصين لا واجب الادباء . وانا انسان يحترم الحدود العلمية ويعترف بما ينقصه . وليس من عادتي ان اتطفل على ماهو بعيد عن اختصاصي . وانه لمن المستحيل ان اسمح لنفسي يوما بان اكتب بحثا اتناول فيه مخططا اقتصاديا لتحقيق الدولة العربية . واذا كنت من الغرور والحماقة بحيث اقع في هذا المزلق ، فلن الوم الا نفسي حين يضحك مني المختصون .

رجاء ـ ... ماينبغي على المفكر ان يدرسه .

نازك ـ ان اقصى ماارمي اليه من هذا البحث ، والابحاث التالية التي سانشرها حول « القومية العربية » ان اوصل صوتي المؤمن الى قلب الانسان العربي البسيط في ارجاء الوطن ، فاذا استطعت ان ابعث فيه خلجة حماسة وثقة ، او امنحه لحظة ايمان حار بالعروبة وبنفسه ، كان ذلك حسبي . وليثق الاستاذ رجاء النقاش انني لااتجه في هذه المقالات الى « المثقف » العربي الذي قرأ برنارد شو وجان بول سارتر . ولعلي اصبحت اشعر بالخوف والنفور من هؤلاء « المثقفين » ، لمجرد انني افتقد لدى الكثير منهم حرارة البساطة العربية ودفء الايمان . وانما اكتب للعربي الذي لم يزل محتفظا بعاطفيته واندفاعه الى درجة انه لايتحرج ان يتحمس للعرب ولو تحمسا قائما على ادراكات غامضة وتمنيات واسعة . ان هذا الانسان القليل الثقافة ، الكثير الايمان ، هو اكثر نفعا للامة العربية من مثقف خائف من عروبته ، متشكك فيها ، يريد ان يكون موضوعيا وعلميا فلا يعرف كيف يفعل ذلك الا بان ينكر عروبته وينشر الشكوك والوساوس حولها . ترى هذا هو العلم الصحيح ؟ تراه يهدم ايمان الانسان بنفسه وامته ويحطم عفويته ؟ والواقع ان الفرد الذي يحب القومية العربية باندفاع عفوي فيه براءة الاطفال وايمان الشيوخ ، هذا الفرد هو الذي سيبني صرح الدولة العربية حين يوجهه الزعيم المخلص الفطن الحي الضمير . وخلال ذلك اين سيكون « المثقف » العربي ؟ انه ولا ريب سيقعد متجهما يتأمل في السؤال العويص : « لماذا انا عربي؟وما الدليل على ذلك ؟ » ولسوف ينشغل دائما بموضوعاته التي هي اهم لديه من حياة امة كاملة : « هل انا موضوعي ؟ هل تفكيري علمي ؟» وما ابعد هذه الاسئلة الجوفاء عن الحياة المتحركة الملتهبة بالنشاط والايمان . ما اتفه وساوس « المثقفين » بازاء عمل فلاح عربي جاهل يحفر الارض ويخرج منها كنوز الخير والرحمة والجمال : زيتون وقطن وخبز وازهار وآفاق من العمل والحياة لا حدود لها . تلك هي الحياة الحقة . فليبارك الله بساطتك ياايها العربي الساذج ذي الايمان الكبير بالله وبالعروبة . انك موضوعي لمجرد انك لم تسمع بعد بالموضوعية ولم تتعلم ان تتحدث بها وتنشغل ، ولم تأت الثقافة الغربية لتوسوس في اذنيك الطاهرتين وتبذر في روحك الشكوك في قيمة نفسك واصالة عروبتك . ومنك انت ايها العربي الحبيب سوف ينبع الايمان الحق وتتدفق طاقات العمل والبناء . واني لاخشع امامك وانحني لبساطتك وامجد ايمانك الجميل . اني اعتذر اليك عن اية « موضوعية » قد اكون آمنت بها وسمحت لها ان تخرب ثقتي باصالة عروبتي وقيمة انسانيتي السمراء المتوهجة بالحياة فلتسقط الاصطلاحات كلها . ان العروبة هي الحقيقة الكبرى التي اعرفها واؤمن بها . واذا كانت الثقافة تكلفني ان اتشكك في بداهة قوميتي العربية وافقد ثقتي بنفسي فوداعا ياثقافة ! ان عروبتي اعز علي منك واحب الى قلبي ولن استعيض عنها بحفنة الفاظ لا قيمة لها .

رجاء ـ لا ياعزيزتي نازك ! ان قوميتنا العربيه لن تكون ولا ينبغي ان تكون قومية (البق والماء الاسن) .

نازك ـ انت تدري جيدا انني لم اقل هذا ، وحاشا لي ان اقوله . ويؤسفني ان اراك تتعمد اساءة التأويل . انك تعرف حق المعرفة ان ذلك مثل جئت به وانا اناقش الفكرة المثالية التي تزعم ان الانسان قد يؤثر محيطا اجنبيا على محيط بلده . ولم يكن ذلك دفاعا عن البق والماء الآسن ولا يمكن ان يكون . واظن انه من السخف حتى ان احاول نفي نسبة مثل هذا الكلام الفارغ الي . يكفيني ان اتساءل : اين الموضوعية في هذه النقطة من مناقشتك ؟ وهل يسوغ للناقد ان ينسب الى المنقود مالم يقله ثم يحاسبه عليه ؟ وبعد فقد سميت انا القومية العربية قومية السكر والعبير ، ووصفتها بانها فضيلتنا وكنزنا وحياتنا . واما انت فقد جعلتها قومية البق والماء الآسن ، وارجو حقا الا يكون ذلك هو رايك في القومية العربية . اسمح لي ان انسب هذه التسمية اليك انت وحدك ما دامت لم ترد في بحثي ، وما دمت انت الذي ابدعتها . وكم كنت اود لو انك نشرت الفقرة الكاملة التي ترى انني حكمت فيها على قوميتنا

بانها قومية البق وألماء الآسن . ليطلع القراء العرب على هذا الكفر السقيم ويناقشوني عليه . ذلك ماكانت تختمه عليك الموضوعية التي طال حديثنا عنها . وانما يحاسب المرء على ماقال ، لا على مايتمنى الناقد ان يكون قد قاله .

رجاء ـ اعتقد ان ثقافة نازك السياسية كما ظهرت في هذا المقال ليست بمستوى ثقافتها الادبية الرفيعة ، ولن ترتفع بالمستوى الذي نرجوه من مبدعة مثل نازك ان تصل اليه باستمرار .

نازك ـ لقد سبق لي ان اوضحت الوجه الذي يجعل بحثي هذا ادبيا لا سياسيا . ومن ثم فان استنتاج مدى ثقافتي السياسية منه امر غير وارد اساسا ، ولا ادري لماذا يلح الناقد الفاضل على اثبات جهلي . ومهما يكن من امر فلا بد لي ان اخبر الاستاذ رجاء انه يسيء الى القومية العربية عندما يصغر دائرتها الى درجة ان يجعلها موضوعا سياسيا لا غير . ذلك انها اوسع من ذلك بكثير . انها الانسان العربي كله ، بملايينه التسعين . وليست السياسة الا علما صغيرا يحاول ان يسعد ذلك الانسان بتنظيم مجتمع طيب له . دعني اشخص ذلك بتشبيه يبرز المعنى . ان العلاقة بين القومية العربية والسياسة كالعلاقة بين الانسان وعلم الصحة . ومن ثم فان القول بان من لم يكن عالما بالاقتصاد السياسي لاينبغي ان يتحدث في القومية العربية يشبه تماما القول بان من يتقن علم الصحة لاينبغي ان يتحدث عن الانسان . وقد قلت في بحثي ان القومية العربية هي الحياة ، فارجوك ياأخي الا تنزل بها دون ذلك المستوى العالي . ولنترك السياسة للسياسيين . اني غير مختصة بها ، وكل ما املكه هو ايماني بالعروبة وبمستقبلها المضيء . تلك هي حدودي ولن اتخطاها .

رجاء ـ ان اي تناقض بين القومية العربية والافكار العلمية هو خطر على الفكرة القومية .

نازك ـ ماأشد خوفك على القومية العربية يا اخي ! ولم هذا القلق والاشفاق كله ؟ اما انا ـ بايماني وسذاجتي ـ فاعتقد حق الاعتقاد انه مامن شيء خطر على القومية العربية على الاطلاق . ان العلم نفسه ضعيف امامها .وانما قوميتنا هي الخطرة على اي علم لايعترف بها . وما يكون هذا العلم ؟ وهل هو اقوى من حقائق الحياة ؟ هل يستمد قوته وتاثيره الا من وقوفه الى جانبها ؟ هل يحاول العلم ان يغير طبيعة الشمس حين يدرسها ؟ ام انه يعترف بالحقيقة ثم يعمل في حدودها ؟ ولماذا يكون التناقض بين القومية العربية والعلم خطرا على العروبة ؟ هل تتغير هذه العروبة اذا ماخطر للعلم ان يتجاهلها او ينكرها ؟ ام ان على العلم نفسه ان يغير افتراضاته ومناهجه ليماشيها ؟ في الواقع ان الحقيقة تقتل من ينكرها ، وما من شيء اقوى منها على الاطلاق ان دمي العربي الذي يجري في عروقي ، ولون وجهي وعيني ، وتركيبي العاطفي ، هي ولا ريب ارسخ واقوى من اي علم يدرسها . ولن يكون العلم علما صحيحا نافذا اذا لم ينحن امام حقيقة عروبتي ويتخذها نقطة بداية ، افيطلب منا اليوم ان نحاول تشذيب قوميتنا وتعديلها لكي نرضي العلم ؟ افلا تنعكس المقاييس كلها بذلك ؟ لا بل ان قوميتنا سوف تمضي ثابتة القدم ، مرفوعة الجبين في طريقها الباني المغمور بضوء الشمس ، وعلى العلم ان يتبعها صاغرا ، ويعدل احكامه وفق حقيقتها الساطعة ، ... على هذا العلم الصغير ، طفل القرن العشرين ، ان يصل اليها ولو لاهثا محطما . ذلك انها اكبر منه واقدم واروع .

وخلاصة القول ، ياأخي ، ان العروبة هي المقياس الحق الذي نقيس عليه اصالة الاحكام العلمية . ام ترى اصبح لزاما على الفرد العربي ان يقصر قامته بقطع قدميه لمجرد ان يلائمه ثوب قصير صنعه له خياط مغرض ؟

رجاء ـ ان ثقافة المفكر القومي العربي السياسية ينبغي ان ترتفع وتنضج بالقدر الذي يتلاءم مع مسؤولية هذا المفكر وهي كبيرة جدا .

نازك ـ حقا يا اخي . ان الثقافة ضرورية ، لا للمفكر العربي وحده وانما للفرد المتوسط ايضا . ولكن ماصنف هذه الثقافة التي تطلبها لابناء العروبة ؟ اراك تذكر كولن ولسن وتسميه « زعيم المثقفين الساخطين من شباب اوروبا » فلعله يمثل لديك النموذج الذي يجب ان يحتذيه المثقف العربي ؟ والواقع ان ذلك غير ممكن الا اذا ارادت الامة العربية ان تنتحر لاسمح الله . وماذا نستفيد نحن من فلسفة اشخاص اكل اليأس نفوسهم وانغمسوا في الشر والجريمة والشذوذ الى درجة افقدتهم حس الانسان الطبيعي الذي يعمل ويتفاءل ويتحسس الله والطبيعةمدركا ان في الوجود عملا وخيرا واخوة وآمالا ؟ اليس ذلك هو مايأخذه كثير من شبابنا المثقفين عن الغرب هذه الايام ؟ انظر الى مافي ادبنا الجديد من تقليد لغثيان جان بول سارتر ويأس البير كامو وشذوذ آندريه جيد واباحية البرتو مورافيا . ان على ادب شبابنا اليافع اليوم ظلالا صفراء داكنة من حضارة الغرب الشقية المهمومة التي لم تعد تعطي بناءها الا احتقار الحياة والتفسخ الخلقي . ذلك جانب واحد من جوانب الشر والهدم الذي تعطينا اياه ثقافة الغرب فتبعثر به حيوية شبابنا العربي البريء

محكمة حسن الركاع

صفحة جديدة من صفحات الشيوعية والانتهازية في العراق

يكتبها صاحب « من مذكرات قومي متآمر »

الكاتب الساخر

الدكتور شاكر مصطفى سليم

اطلبها من دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت ـ ص.ب ١٨١٣

الذي نحتاج اليه للبناء والابداع فلا يكاد يطير لحظات حتى يهوي الى حمأة اليأس والتقزز والرذيلة . واذا انهار الشباب العربي هذا الانهيار الروحي الفاجع ، اذا استسلم لليأس والخدر فمن سيبني الامة العربية ؟ وهل تملك الامة العربية كنزا أثمن من حيوية شبابها وايمانه وتوثبه ؟

ولكن هناك جانبا من ثقافة الغرب اخطر علينا واشد حتى من ذلك . انهم يعلموننا – بسبب لفتة في حضارتهم – احتقار انفسنا واستنكار تقاليدنا ونبذ عروبتنا ، والتعالي على بني قومنا الذين ما زالوا جهلاء سذجا . ان روحا من الغرور قد اصبحت تشيع لدى مثقفينا وكانهم اصبحوا اعلى من ابن الشارع الامي وارقى معدنا . والواقع الحق ان ابن الشارع – في جوهره – انقى منا نحن المثقفين وانصع عروبة واكثر عفوية واطيب نفسا . وهو فوق كل شيء اجرأ منا واكثر صراحة واشد ايمانا بنفسه ان انسانيته غير ملوثة . وهو ما زال – رغم جوعه وعريه – يستطيع ان يحمد الله كل صباح ويمضي ليبني جدارا في حر الشمس او ليحرث حقلا صخريا وهو يلهث ويغني . اما نحن الذين نزهو بقراءة كولن ولسن فلم نعرف بعد ان الجهل هو حقا خير من الثقافة التي تسلب الانسان ايمانه بنفسه وبامته وتفقده براءته وصدق شعوره . وما نفع علومي اذا انا لم اكتسب منها اكثر من اليأس والغرور والشكوك وازدراء امتي ؟

تراني اهاجم الثقافة ، معاذ الله ان افعل ، ومعاذ الله ان يظن ذلك انسان . وانما ازدري تلك الثقافة التي تاتي بالتصنع وضعف الايمان وجمود الحس . وتلك اشياء لا تاتي بها الا ثقافة مبتورة او علم ناقص . وانما الثقافة الحقة هي تلك التي تبني النفس الانسانية وتلهمها وترفع مستوى الخير والابداع والنشاط فيها . الثقافة التي اريدها هي تلك التي تصيح بالفرد العربي : « ايها العربي انهض وواجه الحياة فانت سيد . انك طيب واصيل وموهوب والحياة تفتح لك ذراعيها لتعطيك كنوزها ووعودها لمجرد ان تنشط وتعمل . فامض لتبني عالما جديدا يتفوق على كل ما بناه السابقون . ان عليك ان تكون جريئا في ايمانك بذاتك معتزا بكل الملامح التي وهبتك الحياة اياها ، لان الطبيعة جعلتك متفردا ومستقلا واعطتك خواص لم تعطها لاي فرد سواك . فانهض واحمل الامانة التي نيطت بك . »

ذلك هو جوهر الثقافة التي نريدها للفرد العربي يا اخي . انها ثقافة تبني الفرد وتشخص له نواحي الخير والموهبة في شخصيته وتدفعه للعمل والايمان . واني لمؤمنة باننا نستطيع ان نعطي هذه الثقافة للجيل اليافع الذي نربيه ونعلمه اليوم ، اذا نحن كرسنا لذلك الواجب المقدس . ولسوف يكون الشباب العربي الطالع في المقدمة من موكب العروبة المثقفة المؤمنة . وان الغد لقريب ان شاء الله .

رجاء – ان نازك الملائكة بسيطة ، ساذجة ، غير موضوعية ، غير مثقفة في السياسة . (1)

نازك – اشهد الله على انني سوف ابقى بسيطة ، ساذجة ، غير موضوعية ، غير مثقفة في حبك يا عروبتي . ذلك هو مذهبي .

---

(1) هذه النعوت لم ترد نصا او متتابعة بهذا الشكل في مناقشة رجاء النقاش ، وان كان كلامه قد تضمنها جميعا على وجه التقريب .

بيروت — **نازك الملائكة**

منشورات

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت – ص.ب ٣١٢٦ – تلفون ٢٧٩٨٣

سلسلة الجديد في القراءة العربية

جزءان لروضة الاطفال

خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي :

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة القواعد العربية الجديدة :

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :

خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

الجديد في الجغرافيا :

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة التاريخ الجديد :

ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي

(الشهادة الابتدائية والتكميلية)

سلسلة الحساب الجديد :

سبعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

لمرحلة التعليم (شهادة البريفه) :

Physique, Chimie, Algèbre, Géometrie, Sciences Naturelles

اربعة اجزاء للصفوف التكميلية

الجديد في البحث الادبي (لمنهج البكالوريا)

ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره (لمنهج البكالوريا)

Mon Nouveau livre de Grammaire

ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي

(الشهادة الابتدائية والتكميلية)

Mon Nouveau livre de lecture et de Français

جزءان لمرحلة الروضة – خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

(الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

The New Direct English Course

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية :

جزءان لمرحلة الروضة

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

The New Direct English Grammar

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة اجزاء

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية

Dictées Choisies

حساب ، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي ، املاء انكليزي .